١- تحلى بقدر وافر من الشجاعة

الشجاعة واحدة من أهم الأشياء التى من شأنها أن تجعل لك شأن فى المجتمع؛ لأنك بطريقة أو بأخرى لن تستطيع الوصول لهذه المكانة إلا عندما يكون لديك الشجاعة الكافية، فنحن غالبًا ما نقرن بين الشجاعة والإقدام والبطولة، فهى صفة تستدعى إلى الذهن صورًا لأبطال مثل (جان دارك) وإصلاحيين من أمثال: «المهاتما غاندى وزعماء من أمثال: نيلسون مانديلا ومارتن لوثركنج الابن» وغيرهم من الأبطال الذين ذكرهم التاريخ.

فلقد كانت شجاعة هؤلاء الأشخاص محل تقدير وإحتفاء من الجميع لذا كان لهم شأن عظيم فى المجتمع وهذا لأن الحياة حينها كانت قاسية ولم تكن عادلة على الدوام، فتلك هى الحقيقة سواء أعجبهم ذلك أم لم يعجبهم، ولم يترك هذا الواقع القاسى المرير سوى خيارًا واحدًا فقط فإما أن يتألموا ويشقوا ويخضعوا لقسوة تلك الحياة، وإما أن يتقبلوها كتحدٍ ومعركة يجب الانتصار فيها، فما كان منهم إلا أن شمروا عن ساعديهم وأعلنوا الحرب على تلك الحياة فاستجمعوا كل ما لديهم

من قوة وواجهوا تلك الضغوط والشدائد بشجاعة إلي أن تم لهم النصر، وبنفس الطريقة هذا هو الذي يجب عليك فعله، أن تواجه جميع المشاكل والأزمات بشجاعة وصلابة إلى أن تنتصر عليها فالحياة أيضًا قاسية ومريرة جدًا في هذا الزمان الملئ بالصراعات والعقبات والاحباطات ومن المفترض عليك أن تتوقع حدوث المحن فى أى وقت خلال العيش فيها إلا أن هذا لايعنى أن تدع هذه التحديات تقهرك. فالشجاعة والقوة ومواجهة الشدائد أمور من شأنها أن تبعث فى الحياة مزايا ومباهج خاصة.

إذا فالأمر يتطلب منك شجاعة يومية. ولكى تتمتع بأسمى أشكال الشجاعة يجب عليك أن ترضى بحياتك وتحبها كما نطق بها بول تيليتش:

«أفهم أن الشجاعة هى شجاعة الإقبال على الحياة بغض النظر عن كافة العناصر السلبية فى الوجود الإنساني وبغض النظر عن قيود الزمان والمكان التى تُكبل الإنسان وهو مايعنى أن مصيره معلوم ميلاداً ووفاة..... فالشجاعة مطلوبة لنتبين الواقع من حولنا وأن نجد بداخلنا ما هو إيجابي وذو مغزى،وأن نحبه، فربما كانت محبة الحياة أسمى شكل ممكن للشجاعة..».

إذا فالشجاعة مطلوبة منك عند البحث عن هدفك الحقيقى من الحياة، فحياتك على ظهر الأرض لها معنى وغرض وحينما تدرك أن الحياة دائرة بين الخير والشر، السهل والصعب وتجتاز تلك الصعاب التى تصحبها حينذاك .سوف تكتشف أن الحياة جميلة ولكن عليك فقط أن تُقدم على هدفك دون خوف ودون تردد فبمجرد أن تقتحم تلك الصعاب التى سوف تواجهك فسوف ترى الوجوه جميلة والاشياء رائعة والدنيا بأكملها مدهشة، فنحن بالفعل لا نملك خيارًا لميلادنا أو لوفاتنا إلا أن الخيار لنا فيها هو بين ذلك، فبغض النظر عما فى الحياة من عناصر سلبية فإن أمامك تحديًا يتمثل فى تحقيق أقصى إستفادة منها تحت كل الظروف وإن لم يكن لديك الشجاعة الكافية فلن تجد معنى حقيقى لحياتك ولن تصل أبدًا إلى أن تكون ذلك الشخص الذى طالما حلمت أن تكونه «**فإن الشجاعة هى القوة الحقيقة المطلوبة لتسمو على المصاعب والمعاناة**».

فقد كان هناك «مؤلف مسرحى ذائع الصيت كتب منذ ما يزيد على مائة عام مسرحية اسمها (الإنسان والسوبر مان).يقدم لنا فيها بعض النصائح حول التعامل مع مصاعب الحياة فيقول: (**إن عليك أن تكون قوة طبيعية بدلًا من أن تكون مجرد شّكاّء بّكاء تندب حظك العاثر، وأن العالم لم يدر فى فلك أنانيتك حتى يسعدك أنت وحدك**).

وفى عصرنا الحالى نجد إحدى الحكيمات تُسدى نصيحة مماثلة تقول فيها (إذا طُلب منى أن أُسدى نصيحة وحيدة ينتفع منها كل البشر لكانت علي النحو التالي:

توقع المصاعب كجزء محتم أن تصادفه في حياتك وحينما تحدث لا تحن أمامها رأسك، بل واجهها بجرأة وتحدها بأن تقول: (**ساكون أكبر منك ولن يكون بوسعك أن تقهرينى**).

وهذا هو مربط الفرس لكل حياة شخص ناجح وذا شأن. فلا تحنى رأسك أمام تلك الصعاب التي تقابلك والتي من شأنها أن تقيدك وتثبطك وتعكر عليك صفوك، بل كن شجاعًا وحملق فيها واستدعى أفضل ما لديك من قوة وقم باقتحامها، فهذه الفضيلة (**فضيلة الشجاعة**) لي ولك ولكل البشر لا تعد مجرد فضيلة من بين الفضائل أو سمة من بين السمات، لا لا بل الشجاعة واحدة من أقوى الأشياء التي تجعلك ذا قيمة حقيقية، فقد قال أرسطو: (**الشجاعة أولى سمات البشر فهى التى تجعل بقية السمات ممكنة**) ولقد قال عدد كثير من الفلاسفة والكتاب المؤثرين بأن الشجاعة هى أم الفضائل وأننا لم نتمكن من تطبيق الفضائل الأخرى مالم نمتلك الشجاعة أولًا، وهناك من الأدلة ما يدعم هذا الرأي ومعظمها موجود فى كتابات (راشورت كبدر) والذي أجرى بحثًا حول القيم والفضائل الشاملة دام لسنوات. فهو يقول فى

رسالة له: (**تلعب الشجاعة الأخلاقية دورها بصورة يومية، بل ومع مرور كل ساعة..... ومن دونها لن يمكن تطبيق ما نتحلى به من فضائل.. وبها نبنى تدريجيًا عالمنا الأخلاقي المأمول**).

أيضًا ولكى تتمتع بأسمى أشكال الشجاعة فكن جرئيًا مقدامًا واثقًا من نفسك فجميع العظماء والعباقرة الذين كان لهم شأنٌ عظيم فى المجتمع كان لديهم روح مُغامرة يقدمون على المغامرة ويواجهون المخاطر، حاسمون، وحازمون،ومسيطرون على حياتهم.

فهناك الكثيرون الذين يقولون أنهم ينبغي أن يفعلوا شيئًا ما، ولكنهم لا يفعلونه لعدم وجود الجرأة الكافية والثقة اللازمة لذلك كهذه التى قالت عن نفسها: لقد خيبت ظنى فى نفسى، كان ينبغى أن أُقدم على بعض المخاطر وأن أتحلى بالمزيد من حب المغامرة، لقد كنت دائمًا أفكر أننى يمكن أن أقيم مشروعي الخاص وأحقق شيئًا ما، ولكننى لم أجد الشيء المناسب. لقد كنت أيضًا أريد أن استثمر أموالى فى الممتلكات أو أفعل شيئًا بهذه الأموال لكى أجعلها تعمل من أجلى وتُدر علىَّ ربحًا، ولكن بدلًا من ذلك أجدنى متمسكة بمنزل أملكه بالكامل، وهذا كلُ شيء ونعيش يومًا بيوم.

ينبغى أن أقوم بأشياء أكثر من التى أقوم بها وأخوض المزيد من المجازفات فى حياتى ولكننى لست واثقة من نفسى بدرجة كافية ربما إذا

حدث فى حياتى شيء سيء بحق أجبرنى على القيام بأشياء أكثر من تلك التى أفعلها الان لكان هذا حافز أو مثيرًا مناسبًا ولكن الواقع أن حياتى تسير بهدوء شديد ...

حقًا فأحيانًا تكون لدينا أفكار بشأن تغير كبير فى حياتنا، ولكننا نتردد ونؤجل ونعيش فى أحلام اليقظة أو نقضى دهرًا فى مناقشتها وغالبًا ما ننتهى إلى ألا نفعل أى شيء مطلقًا لتحويل هذه الأفكار إلى أفعال فالأشخاص الذين تنقصهم الثقة غالبًا ما ينظرون إلى أصحاب الجرأة والإقدام ويقولون لأنفسهم «لا يمكنني أبدًا أن أصبح على هذا النحو» «لن أمتلك الشجاعة فى يوم من الأيام للقيام بهذا الشيء» لن أناقش خططي أبدًا إذا لم أكن متأكدًا ١٠٠٪ أنسها سوف تنجح وغير ذلك من هذا الكلام الذى لا يُسمن ولا يُغنى من جوع.

بينما الأشخاص الذين يتمتعون بالجرأة والإقدام يكون لديهم كمية أكبر من الطاقة تؤهلهم لمواجهة المواقف الصعبة المعقدة والإقدام على المجازفات المحسوبة وعادة لا يندمون على فعل ذلك، كهذا الذى قال **(كى تضمن تحقيق أحلامك عليك خوض غمار المخاطر)**. ولهذا تكمن الخطورة الحقيقية فى عدم الإقدام على أى مخاطر. أقبل على المخاطر، لكن بحساب، ولاتقلق من احتمالية الفشل - فما الفشل إلا كلمة، حيث لايوجد فى الحياة ما يسمى بالفشل الحقيقي - لكن هناك دروس

نتعلمها، تقدم وخض غمار المخاطر وسوف تسعد بالنتائج، ولابد أن تقوم بعمل يوميًا -رغم أنف المخاطر - لقد خاطرت فعليًا بكل شيء امتلكه بل بكل شيء لا امتلكه أيضًا فى سبيل إنشاء عملى الخاص وبسبب إيمانى الحقيقى بشغفى، خاطرت بأول منزل لنا من أجل عملى وكانت تلك أفضل مخاطرة اقدمت عليها، إننى لم أندم على أى مخاطرة خضتها وكنت لأفعل الشيء ذاته مجددًا كى أحقق تلك النتائج الرائعة.

وبنفس الطريقة تمامًا لى ولك ولكل شخص فلن نستطيع الحصول على شيء ذا قيمة حقيقية ولن يصبح لنا شأنًا عظيمًا فى هذا المجتمع دون جرأة وشجاعة ومخاطرة وإقدام.

إذا فللشجاعة فضيلة من أقدس الفضائل ومزية من أنبل المزايا وصفة من ضروريات الحياة فبها يعز الرجال والنساء وعليها قامت الدنيا وانتشرت الحضارة، وأنشئت المصانع والمعامل، وأجريت التجارب والاختراعات، وأسست العروش والدواوين، وبفضلها غاص الانسان فى الماء، وطار فى الهواء، وأذاب الحديد والرصاص، وفتتت الحجارة والصخور، وسخَّر النار والكهرباء، وبفضلها تميز بعض الناس على بعض فكان منهم الرئيس والمرؤس، والقائد والجندى، والملك والصعلوك، وكيف لاتكون الشجاعة ضرورة من ضروريات الحياة وقد خلق الله هذه الدنيا دار حرب وقتال، وكفاح

ونضال، وصبر وابتلاء، وجعل هذا الشجار الدائم وذلك العراك المستمر هو عين علاجها ونفس دوائها فبقدر تفاضل الناس فى الشجاعة بقدر تفاضلهم فى القِسَّم والحظوظ فالشجاعة مفتاح السعادة وسلم الرقى وسبب التقدم وعنوان الرجولة ومصدر العظمة ومنبع التقدير والاحترام ترفع لصاحبها قدره وتُعْلى له شأنه.

إذا فيجب عليك أن تتحلى بتلك الفضيلة القوية لأنها فى حد ذاتها مكافأة ثمينة، نعم، فهناك الكثير من الخير الذى سوف تناله عندما تتحلى بالشجاعة ولذلك إذا ما أردت أن تصبح ذا شأن فما عليك إلا أن تكون شجاعًا وجريئًا مقدامًا بما يكفى وأن يكون عندك الاستعداد الكامل للمخاطرة بما تملك من إمكانيات من أجل الوصول للمكانة التى تريد أن تصل إليها والآن دعنا نردد معًا هذه الكلمات:

سأتعلم كل شيء عما أريد القيام به.

حقًا فإنه يمكننى التعامل مع مجالات جديدة ودائمًا سأجد طريقة ما لتحقيق هذا الشيء.

إننى أثق بنفسي ثقة مطلقة.

وسوف أحوِّل هذه الثقة إلى واقع عملى بأن أعمل أعمالًا تجعلنى ذا قيمة:

- بأن أترك بصمتى فى هذا العالم.
- بأن أتغلب على جميع مخاوفى.
- بأن أتخلص من أخطائي وسلبياتي.
- بأن أكون شجاعًا جريئًا مقدامًا حازمًا مسيطرًا على حياتى ماسكًا بزمام الامور.

وأخيرًا لاتنسى هذا القول الذى قاله جيمس ألين:

«لن تتمكن من تحقيق شيء فى هذه الدنيا -رجلًا كنت أم أمرأة - مالم تتحلى بالشجاعة».

نعم فلن نتخلص من سلبياتنا وأخطائنا ومعاصينا مالم نتشجع ونعلن الحرب عليها.

ولن ننال أي شيء ممّا نحلم به مالم نتشجع ونُقدم على المخاطر ونواجه ما يقف أمامنا.

والأهم من ذلك لن ننال رضي الله مالم نتشجع ونقوم بمخالفة الشيطان والنفس والهوى.

فكن شجاعًا ولسوف ترى ما يسُرك فى الدنيا والآخرة.

***

٢- اترك بصمة لا يمكن محوها

«كان هناك مدرب من أروع المدربين المرموقين فى شركة آى. بى. إم يروى عن نفسه ويقول: أنه منذ سنوات عديدة كنت مسافرًا وإذا فجأة شعرت بحالة من الإحباط الشديد. لقد كنت جالسًا على طرف سرير آخر بغرفة فندق آخر منهكًا جسديًا وذهنيًا، وشعرت أننى على وشك الانسحاب إلى توجه سلبى، ولم أحرك ساكنًا لأحول دون هذا. التقطت قائمة خدمة الغرف وحملقت فى نفس الإطباق الأولي التي وجدتها في نفس القوائم علي مدار هذه الرحلة التي استمرت لأربعة وعشرين يومًا. ولم أستطع أن أتخلص من شعورى بالتذمر وعدم الرضا.

شعرت أننى على وشك الإصابة بحالة من الاكتئاب ولذا أخرجت أدوات التوجه الخاصة بى وشعرت في ضبط وتعديل توجهى: لماذا تنتابنى هذه المشاعر؟ فأنا أملك عملى الخاص بى. ولدىَّ جدول عمل مزدحم ، وفريق عمل رائع.كتبى وشرائطي تباع في شتى أنحاء العالم، كما أننى أحقق أرباح طائلة، ولديَّ بيت وسيارة جديدان، ولدي كافة الماديات التي حلمت بها طوال حياتي كما أنني أسعي لتحقيق هدفي فى

الحياة وأشبع شغفى في مجال عملي.

كانت عملية تعديل التوجه تسير على خير ما يرام وإذا بى أفسد كل شيء. لماذا إذن أشعر بالتعاسة إلى هذا الحد؟ يمكننى أسمع نفسى وهى تتذمر طوال الوقت حيال أشياء لم تمثل لى مصدر إزعاج من قبل، قررت أن أنهى حديث النفس لهذه الليلة الأمر الذى يجب أن يفعله المرء أحيانًا عندما يوقن بأن الإرهاق يزج به إلى حالة من التوجه السلبى، ولكن اليوم التالى شعرت بأننى مازلت أعانى من شعور سلبى مُلِّح. لم أقابل أحدًا حتى التقيت بابنة خالتى على الغداء فى شيكاغو، فقالت إنها بصدد حضور خطبة دينية مساء لرجل دينى متميز، لقد أسس هذا الرجل دار عبادة بمساعدة ٨أشخاص فى إحدى المدارس الاعدادية بأطلنطا، وبناها بداخل دار عبادة ضخم فى كوليدج بارك بولاية جورجيا بلغ مجموع حضورها نحو خمسة وعشرين ألف شخص. جدير بالذكر أن رجال الدين التابعين له يمتدون فى شتئ أرجاء العالم، ولهم مكاتبهم فى استراليا، وجنوب أفريقيا، والمملكة المتحدة، ومن المقرر افتتاح المزيد من هذه المكاتب فى الهند والبرازيل ونيجيريا وغنيا الجديدة وهونج كونج.

لقد كنت أعرف رجل الدين وشاهدته أكثر من مرة على شاشة التلفاز وحضرت طقوسه فى دار عبادته أكثر من مرة ولكننى رفضت

دعوة ابنة خالتى. وحاولت إقناعى بالمجئ ولكننى كنت منهكًا. وبعد غدائنا،عدت إلى غرفتى بالفندق. وبدأ حديث النفس السلبى حيث انتهى الليلة الماضية، ولذا وضعت له حدًا مرة أخرى وقررت أن أغفووحدثت نفسى قائلًا:-

(لعلى منهك من السفر وحسب نمت لثلاث ساعات ثم استيقظت وشعرت بالنشاط والحيوية وقررت أن انضم إلى ابنة خالتى على كل حال. عندما وصلت إلى المكان، لم أصدق عدد الناس الذين كانو بالخارج. لابد أن هناك ٥٠٠٠ شخص على الاقل يصطفون بالخارج بانتظار الدخول.

سمعت أن أحد الحضور ممن أصطفوا فى الطابور قطع رحلة استغرقت تسع ساعات لحضور هذا الحدث، وردَّ آخر قائلًا: هناك أشخاص كثيرون قطعوا مسافة أطول منك حينئذ حدثت نفسى بأن المسافة من بيتى فى أطلنطا حتى دار عبادة رجل الدين التى تسع عشرة الآف شخصى تستغرق ٥٠ دقيقة فقط ولم أجشم نفسي عناء حضور هذه الطقوس والخطب الدينية سوى مرتين فحسب.

سرت حتى الصف الأول بحثًا عن ابنة خالتى ولكن كان هناك جمع غفير من الناس ولم يكن باستطاعتي رؤيتها ومع هذا لم أكن قلقًا فقد شعرت بالراحة في هذا المكان أكثر مما شعرت بها منذ أسابيع

طويلة. شعرت بأن ثمة شيئًا مهمًا على وشكة أن يحدث.

وهنا ظهر رجل الدين الشاب على المنصة لتحية الجمهور وبدأ على الفور فى إلقاء خطبته التى كان عنوانها «**ترك بصمة لايمكن محوها**»، فقال: البصمة التى يتركها المرء هى الفارق الذي يصنعه في حياة الآخرين، وكثيرًا مايكون لصنيعك هذا أثر مضاعف تدريجي فمساعدتك أو توجيهك للأخر يؤثر في حياة الكثيرين من منطق تأثيرك فى حياة شخص واحد. فالأمر معد.

ومن المهم أنت تعى أن أبسط اللافتات من الممكن أن يكون لها أثر رئيس دائم على حياة المرء. إننا لانعرف نتيجة جهودنا أوعدد الشخصيات التى نؤثر فيها دائمًا، ولكن من الحقيقى دون شك أنه عندما تمد يد العون لشخصًا ما، يتبعك كثيرون ويحذون حذوك،

عندما سمعت كلمات رجل الدين لأول مرة فى هذا اليوم لاقت صدى فى روحى وادركت أننى فى ظل الحوارالداخلى السلبي الذي أجريته مع نفسي، بدأت أعمى عن الكثير من النعم التى أنعم الله بها علىَّ. وأصبحت أنانيًا لا أخدم إلا نفسي وبسبب إرهاقي الناجم عن السفر، سقطت ضحية نمط من الملل والرثاء على الذات. لاشك فى أننى كنت مرهقًا ولا شك في أن السفر عبر البلاد من الممكن أن يصيبك

بالتعب ولكنني عميت عن حقيقة أنني أعيش حلم حياتي.

ذكرنى رجل الدين بأن تركيزى يجب أن ينصب على إبداء امتنانى لله على النعم التى أنعم بها علىَّ بواسطة التطوير من هذه النعم ومشاطرتها لآخرين. لقد لمست رؤية رجل الدين عندما تحدث حول صنع فارق حقيقى والتحول إلى «أحد عوامل تغيير العالم». وحينئذ سطع ضوء بداخلى، وأدركت أننى فى حاجة لأن ألجأ لمزيد من الروحانيات، طرح رجل الدين السؤال التالى: من الذى يود أن يربح فى الحياة؟

فرفعنا كلنا أيدينا، فأجاب (لكى تربح، يجب أن تغرس إيمانك بداخلك، ولا يجب أن تقتصر على ذلك الايمان فحسب، بل يجب أن تعمل بما يقتضيه ذلك الايمان).

إن العطاء وأعمال الخير هى البذور التى وهبنا الله إياها لنغرسها فى الدنيا إذا أردت النجاح، إذا أردت أن تحصد ثمارك. يجب أن تزرع هذه البذور.

فى هذه الليلة شهدت حياتى طفرة وتحولًا فى منظورى للأشياء ففى هذه اللحظة قررت أن أفعل المزيد، وبدلًا من أن اتبنى توجه مع العالم من حولى من منطلق الفائدة التي ستعود علىَّ منه، سأتبنى موقف ماذا يمكننى أن أفعل ليرضى الله عنى؟، وماذا يمكننى أن أفعل من

أجل الآخرين لقد ساعدني رجل الدين على إدراك أننى فى حاجة إلى النظر إلى العالم من حولى بناء على توجه يشدد على الامتنان والتواضع. لقد أدركت أن أعظم ثمار من الممكن أن يجنيها المرء فى الحياة هى تلك التى تأتيك عندما تنسى جنيها لنفسك وتسعى لجنيها من أجل الآخرين. ولكى تصبح عاملًا من عوامل التغيير فى العالم يجب أن تغير ما بداخلك أولًا، في هذه الليلة تركت هذا المكان بروح جديدة وتوجه جديد ملتزمًا بترك بصمة لايمكن محوها. عندما أذكر هذه الليلة أتساءل عما كان يمكن أن يحدث لو لم أخطو الخطوة الأولى وأكره أن أتخيل حياتي لو لم أفعل ذلك.

الحقيقة أنه في مستهل قراءتي لهذه القصة قد أوقفتني بعض الكلمات وجعلتنى مستاءًا بعض الشيء لقلة من يفعلون ذلك، ومن بين هذه الكلمات **البصمة التي يتركها المرء هى الفارق الذى يصنعه فى حياة الآخرين** أريدك أن تفكر معى الآن بعض الدقائق فى هذه الكلمات وحينما تتوقف عن التفكير أسأل نفسك هذا السؤال: ما الذى حقًا سوف أفعله لأصنع فارقًا في حياة من أعرفه ومن لا أعرفه؟ وصدقنى بأن هذا السؤال سوف يترك بصمة وأثرًا فى نفسك أنت أولًا؛ لانك حينها ستشعر بأنك لست وحدك فى هذه الحياة، وأن هناك الكثير والكثير من الاشخاص الذين يحتاجون لك، نعم يحتاجون إليك أنت

شخصيًا، يحتاجون لتمد لهم يد العون، يحتاجون لتأخذ بأيديهم إلى الله، يحتاجون لتشجيعك لهم، يحتاجون لكرمك، لعطائك، لودك، .... إلخ.

فقرر معى الآن بأنك سوف توالى الجميع وسوف تترك بصمة فى نفوسهم لا تمحى بمرور الزمن.

ومن بين تلك هذه الكلمات:

(أن العطاء وأعمال الخير هى البذور التى وهبنا الله إياها لنغرسها فى الدنيا إذا أردت النجاح، إذا أردت أن تحصد ثمارك يجب أن تزرع هذه البذور)..

فإذا أردت أن تتلقي كلمات رائعة من غيرك فأسمع غيرك كلمات جذابة أكثر من رائعة، وإن أردت أن ترى وجوه مبتسمة أمامك فابتسم في وجه من تقابله.

وإذا أردت أن تلقى تكريمًا ومدحًا وتصفيقًا فأعط الأخرين ما يستحقونه من التكريم والمدح والتصفيق، وإذا أردت أن تزيد من مالك فأخرج منه وتصدق به، وإذا أردت أن تشعر بالأمل فأعط الأمل لغيرك وهذا لأن هناك قانونًا يسمى «**قانون التبادل**»:

ويقول هذا المبدأ «**إذا فعلت معروفًا لشخص آخر فإنه سيرغب فى فعل المعروف نفسه لك**».

سوف يرغب فى التبادل بطريقة ما بحيث لايشعر أنه مدين بالفضل لك».

فأغلب البشر يتسمون بالنزاهة فى تعاملاتهم مع الآخرين عندما يقوم أحدهم بشئ لطيف من أجل شخص أخر، ينتاب هذا الآخر إحساس بواجب تقديم المقابل فيحاول أن يعوض هذا الشخص بوسيلة أو بأخرى. فإن تأثير تقديم معروف أو خدمة لطيفة يخل بتوازن المساواة فى القيمة فيما بينهما. ونتيجة لذلك فهو يبحث عن طريقة للوصول إلى المساواة.

وهكذا يبحث هؤلاء عن طريقة لتعويضك عن طريق القيام بشئ لطيف من أجلك كذلك. فإذا ما خرجت لتناول الغداء مع صديق لك ودفعت فاتورة الحساب، فسوف يصر على دفعه فى المرة التالية. وإذا ما دعوت أحد الأصدقاء للعشاء فى منزلك فسوف يصر على دعوتك فى منزله فى وقت آخر وهكذا في كل الأمور.

ومن بين تلك الكلمات «في هذه الليلة شهدت حياتى طفرة وتحولًا فى منظورى للأشياء ففى هذه اللحظة قررت أن أفعل المزيد، وبدلًا من أن أتبنى توجه (مع العالم من حولي) من منطلق الفائدة التى ستعود على منه، سأتبنى موقف ماذا يمكننى أن أفعل ليرضى الله عنى؟ وماذا يمكننى أن أفعل من أجل الآخرين؟ الله أكبر،الله اكبر ،الله أكبر،فهذا

هو مربط الفرس،وهذا هو ما يجب علينا فعله، وهذا هو ما أرغب فى توصيله إليك، ألا تقلق مادمت مهتمًا بعبادة ربك وبها سوف تحققه من انجازات وابداعات فى حياتك وبالعون والمعروف الذى سوف ستصنعه اليوم وكل يوم من أجل الآخرين، فلا داعي لك بعد ذلك لأن تحمل أي هَمّ، لأنني أكاد أن أجزم بأنك سوف تعيش أجمل وأروع حياة وسوف تحيا فى عقول وقلوب من حولك والأجيال التى ستليك، فلكى لاتنسى وأن تحيا إلى الأبد فلزامًا عليك أن توقن بأنك تستطيع أن تترك هذه البصمة فى هذا العالم أجمع وأن تحدث فارقًا هائلًا فى حياتك من خلال الطريقة التى ستحيا بها.

وأن يكون لك أثرًا باقيًا على حياة جميع البشر بأن تكون بطلًا شامخًا فى مجال تخصصك وأن تكون أبًا عظيمًا لأبنائك وأن تكون زوجًا رائعًا فى بيتك وقائدًا عظيمًا فى مجتمعك وداعيًا ماهرًا لأمتك، فقد كان رائعًا هذا الذى قال: «**نحن جميعًا سنموت ولكن قليلين منا فقط هم من يعيشون بحق**» فكن واحدًا من هؤلا الذين يعيشون ويحيون للأبد ولا ينساهم أحد، وتذكر بأن جميع العظماء الذين كان لهم شأن فى هذه الحياة كانوا يقومون بأعمال لا تنتهى بنهايتهم فقد قيل (أنه فى أثناء سعيك لتحقيق النجاح فإنني أحثك على أن تكرس نفسك للإرتقاء بحياة من تصادفهم وترك العالم فى صورة أفضل مما وجدته عليها).

فإن كنت معلمًا فأنت مطالب بأن تترك بصمة حب العلم فى قلوب أبناءك الطلاب.

وإن كنت طبيبًا، فأنت مطالب بأن تترك بصمة النصيحة والوفاء والإخلاص فى العمل والرفق بالمرضى.

وإن كنت عاملًا، فأنت مطالب بأن تترك بصمة صدق وأمانة فى عملك.

وإن كنت زوجًا، فأنت مطالب بأن تترك بصمة فى قلب زوجتك.

فأيًا كان دورك ووظيفتك فى الحياة فلن تستطيع المرور إلى سجل المكرّمين والمنعّمين إلا إذا تركت هذه البصمة فى نفوس المحيطين بك.

فقم وانهض الآن وخذ قرارًا لا يتزعزع بأى حال من الأحوال بأنك سوف تترك بصمتك على نفوس كل من يحيطون بك، بل وعلى العالم أجمع.

***

٣- كن إيجابيا

إذا كنت تجد صعوبة فى العثور على الأشياء الطيبة فى حياتك وأن تعُد النعم التى وهبها الله لك فإنى أدعوك لقراءة السطور التالية فهى حقا مليئة بالإحصائيات التى تثبت كم عدد النعم التى تتمتع بها دون أن تدرى.

وإذا لو صدقت ولو نصف هذه الإحصائيات فلا يوجد إلا القليل وربما لا شيء لنحزن بشأنه. فأقرأ معى هذه السطور الرائعة التى كتبها «**ستيفن إيردلى**»:

- إذا ما صحوت من نومك هذا الصباح شاعرًا بالصحة أكثر من المرض، فأنت إذا أكثر حظًا من المليون شخص الذين سيموتون هذا الأسبوع.
- إذا لم تكن قد عايشت من قبل خطر المعارك، ووحدة السجن، وقسوة التعذيب، أو إحساس المجاعة، فأنت أفضل حالًا من ٢٠ مليون شخص فى هذا العالم.
- إذا كنت تستطيع تأدية شعائرك الدينية فى دار العبادة دون

خـوف مـن المضـايقة أو أن يُقـبض عليـك أو أن تتعـرض للتعذيب أو الموت، فأنت أكثر حظًا من ثلاثة مليارات من البشر على سطح هذا الكوكب.

- إن كنت تملك طعامًا فى ثلاجتك وثيابًا تستر جسدك وسقفا يحميك، ومأوى تنام فيه فأنت أغنى من ٧٥٪ من سكان العالم.
- إن كنت تملك أموالا فى البنك وفى حافظتك وبعض العملات المعدنية فى مكان ما بمنزلك، فأنت بهذا من أغنى ٨٪من سكان هذا الكوكب.
- إذا استطعت أن ترفع وجهك بابتسامة وتكون صادقًا فى شكرك فأنت شخص محظوظ؛ لأن الأغلبية حتى مع استطاعتهم فعل هذا لا يفعلونه.
- إذا كنت تستطيع إمساك يد شريك حياتك أو معانقته أو حتى الربت على كتفيه، فأنت محظوظ لأنك قادرًا على تقديم تلك اللمسة الحانية.
- إذا كنت قادرًا على قراءة هذه الرسالة، فأنت أكثر حظًا من ملیارى شخص فى العالم لا يستطيعون القراءة من الأساس .

- إنك تتمتع بنعم لا تُعد ولا تحصى، بل إنك قد لا تدرك عظمتها.

فكل هذه النعم تدعوك لأن تكون شخصًا إيجابيًا وأن تضع الأمور فى منظورها السليم حين تلم بك محن الحياة ،ولذلك فركز على ما تملك من نعم، فإن لديك نعمًا كثيرة فى هذه الحياة لكن لا تأخذها كأشياء مُسَّلم بها، ولذلك فإنى أدعوك الآن بأن تستشعر قيمة كل شيء طيب فى حياتك، فحتى حينما يحدث لك أمرًا سلبيًا فإنه سيكون لديك العديد

والعديد من الأمور الأخرى الإيجابية لتركز عليها:« صحتك، أسرتك، أبناؤك، حريتك ،.....ألخ.

أيضًا عليك أن تدرك أن المحن ما هى إلا شيء مؤقت سرعان ما تنتهى وأن الأوقات السعيدة ستأتى، فلا يوجد شيء يدوم للأبد، فركز قدر إمكانك على الحلول وليس على الجوانب السلبية للمحنة.

فقد كان هناك شخص مرّ بتجربة هو وعائلته ومثلت لهم كارثة حقيقية لدرجة أنهم كانوا سيفقدون حياتهم فيها والأسوأ من ذلك أن تلك الكارثة كانت نتاجًا لإدمان شخص

فيقول:

«إنه فى العاشرة و٥٣ دقيقة من مساء يوم التاسع والعشرين من

مايو ١٩٨٢، كان والداى وواحدة من شقيقاتى نائمين فى حجراتهم بالطابق العلوى. وكان والداى قد قضيا كل لحظة من وقت فراغهما فى الأسبوع السابق فى الإعداد لحفل تخرج أختى الكبرى من المدرسة الثانوية والذى كان من المفترض أن يقام اليوم التالى. كنت أجلس فى حجرة العائلة بصحبة أخى وابن عمنا نشاهد فيلما حينها سمعنا فجأة صوتا مرتفعًا لشاحنة تسير بسرعة شديدة تجاه ناصية شارعنا. وبعدها سمعنا صوت تناثر الأتربة والصخور عندما دخلت الشاحنة الطريق المجاور لمنزلنا المغطى بالحصباء. ودون أى إنذار فوجئنا بالشاحنة ترتطم بالمنزل بسرعتها العالية مما جعل المنزل يهتز بشدة

هرعت إلى حجرة المعيشة فوجدت أن الشاحنة قد إرتطمت بأساس المنزل ونتيجة لذلك فقد دفعت خط الغاز الخاص بنا إلى داخل أساس القبو، ووجدت النيران تتصاعد وتحيط بكل نوافذ الجانب الغربى من المنزل، فخرجت مسرعًا من المنزل وأنا أصيح «نيران- نيران» وخرج الجميع من الباب الأمامى، اتصل أحد الجيران بقسم الإطفاء عندما شاهد الحادث ووقفت عائلتى خارج المنزل تشاهده وهو يحترق. كان سائق الشاحنة – والذى عرفنا فيما بعد أنه كان مخمورًا – قد ارتطم بالمنزل مباشرة بسرعة ٤٠ ميلًا فى الساعة، محطمًا خط الغاز الخاص بنا تمامًا ولقد تسببت حرارة المحرك والارتطام فى اشتعال الغاز

فور الإرتطام، ورغم وصول فرقة الإطفاء بسرعة، فقد كان خط الغاز مدفونا تحت الطريق، لذا لم يتسنّ لهم إغلاقه، وظل منزلنا يحترق حتى الثانية عشرة والنصف، وبسبب الحريق تدمر أحد جوانب منزلنا ذى الطابقين تمامًا.

فى غضون هذا، كانت عائلتى وخمسون من الفضوليين واقفين ليشاهدوا النيران فى حالة من الصد مة والرعب. وكان سائق الشاحنة الذى هرب فى البداية ولم يعد إلا بعدما طارده ابن عمى، واقفًا فى باحة المنزل وهو يصرخ فى أمى قائلا: «انقذوا شاحنتى، انقذوا شاحنتى» ولأنه كان فاقدًا رشده من الخمر، فقد كان يمسك بكتفى أمى ويهزها بعنف فسارعت بالوقوف بينهما فى الوقت الذى جاء رجل شرطة وسحبه إلى سيارة الشرطة، وإلى هذا اليوم ما زلت أتذكر رائحة الخمر الكريهة الصادرة من هذا الرجل، وحرارة النيران اللافحة، وحين انطفأت النيران وقفنا مصدومين فى باحة منزلنا معًا ولن أنسى قط كلمات أمى وقتها حيث قالت:- سيكون كل شيء على ما يرام لأنه لم يمت أحد وجميعنا بخير .

لاحظ أنه حين قالت أمى هذه الكلمات كنا لا نملك مكانا للنوم- ولا نملك أى ملابس أو أعراض شخصية – ولا نملك طعاما .

فقد تسبب الحريق والدخان فى تدمير كل شيء لكن ظلت والدتى

بخير. بالطبع كانت مصدومة مثلنا جميعا، ولكنها لم تركز على الكارثة التى واجهتنا أو التى ستواجهها فى الأسابيع والشهور القادمة، بل قد ركزت على حقيقة أننا خرجنا جميعًا من هذه المحنة سالمين وأحياء .

أعتقد أن شخصيتى تغيرت كثيرًا بعد هذه اللحظة واليوم أجد أن ميلى للتفاؤل على الدوام فى الحياة فقد تأثرت للغاية بما قالته أمى وفعلته فى ذلك اليوم وبقدرتها على أن ترى «النصف الممتلئ» من الكوب وليس «النصف الفارغ».

وبالطبع لم تكن المحنة التى سببها حريق هذا المنزل قاصرة على ذلك اليوم فقط، ففى تلك الليلة بتنا على أرضية دار العيادة الكائنة فى شارعنا وفى الصباح عدنا إلى منزلنا، وقد أخبرنا محقق الحرائق الذى كان يحقق فى الحادث أننا كنا محظوظين لنجاتنا. حيث أوضح لنا أن ماسورة الغاز التى تسبب الحادث فى إرتطامها بحائط القبو لم تكسر إلا كسرًا بسيطًا، وأنه لو كانت الماسورة قد دخلت فى حائط القبو لمسافة نصف بوصة إضافية لانفجر المنزل على الفور وانتهى أمرنا جميعًا .

كنا محظوظين لبقائنا على قيد الحياة. لقد أتيحت لأسرتى فرصة ثانية للحياة، وأنا أؤمن أننا جميعًا نحصل على فرصة ثانية للحياة كل يوم وذلك لأن الغد ليس مضمونًا.

إن والدتى لم تركز على الجانب السلبى لما حدث، بل ركزت على

الجانب الإيجابى. وهذه الشخصية القوية الإيجابية ساعدتها بعد ذلك لسنوات حين تغلبت على سرطان الثدى.

الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. لأن مثل هذه الشخصية لابد وأن يكون لها شأنًا عظيمًا فى قلوب أسرتها وفى قلوب المحيطين بها. وهذا لأن الشخص الإيجابى دومًا يسرى حبه فى قلوب من حوله لأنه دائمًا متفائلا يُدخل الأمل على من حوله، ويغذى قلوبهم بأفضل الأشياء.

فقد كان هناك عجوز من قبيلة الشيروخى يُعلم حفيده حقائق الحياة، فقال للصبى: هناك صراع يحتدم بداخلى.

صراع شرس بين ذئبين: **أحدهما شرير** وهو: الغضب، الحسد، الحزن، الندم، الطمع، الكبر، الرثاء للذات، الذنب، الدونية، الكذب، الخيلاء، الإستعلاء، الغرور.

والآخر طيب وهو: الفرح، السلام، الحب، الأمل، الطمأنينة، التواضع، الطيبة، التعاطف، فعل الخير، الكرم، الحق، التراحم.

نفس هذا الصراع يحتدم بداخلك، وبداخل كل شخص آخر أيضًا».

تدبر الصبى الأمر للحظات ثم سأل جده قائلا: **وأى الذئبين سيربح** فرد عليه العجوز ببساطة قائلا: «**الذى تغذية**».

وهذا هو كل ما أتمناه منك أن تغذى هذا الذئب الطيب الإيجابى الموجود داخلك لأنك إذا ما فعلت ذلك فسوف تصبح ذلك الشخص الذى قيل فيه هذه الكلمات الرائعة.

«إنك فى اللحظة التى تدخل فيها مكانا يتواجد به شخص ودود ذو موقف إيجابى تشعر بإحساس رائع يتجه نحوك.

تشعر بالإيجابية والسمو والحماس وفجأة تبدو كثير من الأشياء ممكنة الحدوث».

أراك تتمنى أن يكون لك مثل هذا التأثير على حياة من تعرفهم ومن لا تعرفهم، فإن كنت ترغب فى ذلك، فالقرار قرارك لأنك بكل بساطة تملك حرية الاختيار، فقرر أن تكون شخصًا إيجابيًا وأن تكون ذلك الشخص الذى دومًا يحفز نفسه ويرفع من معنوياتها، والذى يحمل على عاتقه مسئولية رفع معنويات الآخرين وتشجيعهم وإدخال السرور والبهجة على قلوبهم عند مجيئه أو قل عندما تأتى سيرته.

أيضًا ومن الإيجابية أن تحمل همّ الأمة على عاتقك فلا ترى المنكر وتدير له وجهك وتستحى أن تغيره، بل كن مثل هذا الطالب الذى كان يدرس بكلية الزراعة فى إحدى جامعات مصر وعندما جاء وقت الصلاة قام وترك ما فى يده وبحث عن مكان ليصلى فيه فأخبروه أنه لا يوجد مكان للصلاة فى الكلية إلا أن هناك غرفة صغيرة «قبو» تحت

الأرض من الممكن أن يصلى فيه، فذهب إلى تلك الغرفة تحت الارض وهو مستغرب من الناس الذين معه فى الكلية لعدم إهتمامهم لأمر الصلاة «هل يصلون أم لا؟» فدخل الغرفة فوجد فيها حصير قديم وكانت أيضًا غير مرتبة ولم تكن نظيفة، ووجد عاملًا واحدًا يصلى فيها، فسأله الطالب وقال له: ألا يوجد مكان غير هذا لنصلى فيه؟

فأجابه العامل وقال له: أصلًا لا يوجد أحد هنا يصلى من الناس الذين هم فى الأعلى ولا يوجد غير هذه الغرفة ،فقال هذا الطالب الإيجابى الذى غار على دينه أما أنا فلم أصلى هنا تحت الارض وخرج مسرعا من القبو متجهًا إلى الأعلى وبحث عن أكثر الاماكن المعروفة والواضحة فى الكلية وعمل شيء غاية فى الغرابة، وقف وأذنّ للصلاة بأعلى صوته فتفاجأ الجميع وأخذ الطلاب يضحكون عليه ويشيرون عليه بأيديهم ويتهمونه بالجنون ولا حول ولا قوة إلا بالله، فلم يبالى بهم وجلس قليلا ثم نهض وأقام الصلاة وبدأ يصلى وكأنه لا يوجد أحد حوله ثم بدأ يصلى وحده يوم، يومين، نفس الحال الناس كانت تضحك عليه وهو لا يعيرهم أى إهتمام، إلى أن اعتادوا على ذلك الموضوع فلم يعودوا يضحكون، ثم حدث تغيير مفاجأ، فالعامل الذى كان يصلى فى القبو خرج وصلى معه ثم أصبحوا أربعة وبعد أول أسبوع صلى معهم أستاذ، بعد ذلك انتشر الموضوع والكلام عنه فى كل أرجاء الكلية،

فاستدعى العميد هذا الطالب وقال له:

لا يجوز هذا الذى يجرى فى الكلية لأنكم تصلون فى وسط الكلية، نحن سنبنى لكم مسجدًا، عبارة عن غرفة نظيفة مرتبة بها عدة مزايا يصلى فيها من يشاء وقت الصلاة، وهكذا بُنى أول مسجد فى كلية الجامعة ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل باقى طلاب الكليات أحسوا بالغيرة وقالو: لماذا يوجد مسجد بكلية الزراعة ولا يوجد عندنا؟ وأثارو ضجة فى كليتهم إلى أن تم لهم بناء المسجد، بل تم بناء مسجد فى كل كليات فى الجامعة، وكل ذلك بتصرف إيجابى قام به هذا الطالب فكانت نتيجته أعظم من المتوقع ولا يزال هذا الشخص سواء كان حيًا أو ميتًا يأخذ حسنات وثواب عن كل فرد يدخل ويصلى فى هذه المساجد .وهذا هو ما أضافه للحياة بسبب هذا الموقف الإيجابي، وفى مخيلتى أن هذا الشخص أصبح عظيم الشأن بسبب أنه رفض أن يكون إنسانًا سلبيًا ولم يرضى بالدونية لدينه، فلم يرضى أن يصلى فى هذا المكان الصغير الغير نظيف بل تصرف بإيجابية تجاه هذا الموقف وقام ونهض ولم يهدأ إلا عندما انتصر على هذه السلبية.

ولذلك فلنكن مؤثرين أينما نتواجد ولنحاول تصحيح الأخطاء التى تصادفنا ولا نستحى من الحق لأن هذا من الإيجابية التى يحبها المولى «عز وجل» والتى ستكون سببًا بأمر الله أن ترفع من شأنك

وتجعلك موضع ترحيب من الجميع ،لكن كن إيجابيا لترضى الله أولًا وآخرًا وأخيرًا تذكر بأن الشخص الإيجابى هو الذى:

- يساعد الآخرين بينما الشخص السلبى ينتظر المساعدة.
- والشخص الإيجابي يرى حلًا لكل مشكلة، بينما الآخر السلبى يرى مشكلة لكل حل.
- الإيجابي ينظر إلى المستقبل ويتطلع إلى ما هو ممكن، والسلبى ينظر إلى الماضى ويتطلع إلى ما هو مستحيل.
- الإيجابي الحل لديه صعب، لكنه ممكن، والسلبى الحل لديه ممكن، ولكنه صعب.
- الإيجابي يعتبر الانجازات إلتزامًا عليه أن يؤديه، والسلبى لا يجد فى الانجاز أكثر من وعد يعطيه.
- الإيجابي يعامل الناس كما يحب أن يعاملوه، بينما السلبى يخدع الناس قبل حتى أن يخدعوه.
- الإيجابي لديه أحلام يسعى بكل قوته الوصول إليها، بينما الآخر لديه أوهام وأضغاث أحلام يبد دها.
- الإيجابي يرى فى العمل أمل، أما السلبى فيرى فى العمل ألم.
- الإيجابي يناقش بقوة وثقة وبلهجة لطيفة، بينما السلبى يناقش

بضعف وبلهجة فظة.

- الإيجابي يصنع الأحداث، والسلبى تصنعه الأحداث.
- الإيجابي متفائل، والسلبى متشائم.
- الإيجابي لا يفعل إلا ما يرضى الله وإن زل فى بعض الأحيان، أما السلبى فيفعل ما تهواه نفسه وما يمليه عليه شيطانه.

وبالجملة الشخصية الإيجابية فى تقدم ورقى ورفعة فى الدنيا والآخرة نعم فهى المقبولة عند الله المحببة لدى الناس.

أما الثانية فعكس ذلك تمامًا. فأيهما تريد؟؟

***

٤- تحلى بقدرٍ وافرٍ من العلم

التعليم على مدى الحياة يُعد ضرورة مطلقة لحياة كاملة. فإننا سوف نموت داخل ذواتنا حتى لو كنا أحياء، ما أن نتوقف عن طلب العلم. كما أننا سنصاب بالملل ونصبح مصدرًا له عندما نتوقف عن طلب المزيد من العلم. والحل يكمن فى إدمان التعلم، فإن طلب العلم المستمر يولد مرحلة النضج فى أبعاد الحياة الروحانية والأخلاقية والإجتماعية، وكذلك العقلية، فقد قيل: «**يجب أن يستمر فى طلب العلم كل حى صحيح البدن**» وهذا صحيح، فإننا إذا قمنا بتغذية ومران العقل على الوجه الصحيح، فإننا بذلك سنزيد من طاقاتنا وحماسنا تجاه الحياة وسوف نجد فيها المزيد من معانى البهجة والسرور. وسوف نصبح مصدرًا للمتعة وإشعاعًا للنور، وسوف نكتسب المزيد من الحكمة التى ستؤهلنا لأن نصبح ذا شأنا عظيمًا فى المجتمع.

فلقد أرسلت تلميذة رسالة إلكترونية رقيقة إلى معلمها، قالت فى مغزاها: «مرحبا يا من علمنا تلقى العلم طيلة الحياة، مع أننى أقدر كثيرًا كل ما تعلمته خلال فصولك الد راسية، إلا أننى لم أكن أصد قك حينما قلت بأننا سنتعلم أكثر من هذا ونجد فيه المزيد من البهجة عندما

نحصل على درجاتنا الجامعية. فقد ظننت أننى سأريح عقلى بعد نهاية تلك الدراسة، وهكذا كنت خاملة لفترة. إلا أن هذا لم يدم سوى أسابيع قليلة. وبعدها بدأت أفهم السبب وراء طرحك علينا آراء حول تجديد الحياة وتلقى العلم ما دامت تلك الحياة.

فتلقى العلم بهجة لا توصف!

ولسوف تفخر بى لو عرفت الوسائل المتعددة التى أداوم من خلالها على تلقى العلم. فتلقى العلم وتجديد الحياة يضفيان عليها المعنى والبهجة! تلميذتك للأبد، «وكذلك فقد قال أحد التنمويين»: حتى تكسب أكثر، يجب أن تتعلم أكثر. إن الأجر الذى تتقاضاه من صاحب عملك يتحدد طبقا للقيمة التى تمثلها فى العمل. وكلما زادت معرفتك، زادت قيمتك. لكى تكسب أكثر، تعلم أكثر. أقرأ أكثر من منافسيك. ادرس أكثر منهم. تحسن أكثر منهم. تنجح أكثر منهم.

عندما كنت محاميًا فى مطلع حياتى العملية، أذكر أننى سألت المحامى الأقدم فى الشركة عما كان يلزمنى فعله لضمان بقائى وإستمرارى فى المهنة. ولن أنسى رده أبدًا: «كن حسن الإطلاع وكفؤًا ومتميزًا فيما تفعله، إلى الدرجة التى تجعل الشركة لا تستطيع الإستمرار بدونك. اجعل من نفسك شخصًا لا يمكن الإستغناء عنه». نصيحة رائعة.

إن الإدراك يسبق الاختيار، والإختيار يسبق النتائج. وعند ما تتعلم

ما تفعله الصفوة، سوف تكتسب إدراكا جد يدًا. ومع الإد راك الأفضل، سوف تتمكن من إتخاذ قرارات أفضل. ومع القرارات الأفضل، من المؤكد أنك ستحصل على نتائج أفضل. إن الإستثمار فى التعلم والإرتقاء بمهاراتك إلى مستوى التميز هو أذكى إستثمار يمكن أن تقوم به على الإطلاق.

وهذا لأنك كلما تبحرت فى تلقى العلم زادت معارفك، فهوغذاء ومتعة وخفيف المحمل فى الأسفار فجميع العظماء والعباقرة يتحاورون معنا من خلال أفضل الكتب ليمدونا بأثمن الأفكار وأفضل العلوم. ولذلك فيجب عليك أن تتعلم أكثر وأن تنضج فى شتى أبعاد حياتك، وكن طموحا أكثر لتحقق أكبر قدر ممكن من العلم الذى به سوف تعلو وتعلو، فلا تقتصر على علم معين بل زد من معرفتك، لأن العلم أحد أهم الأشياء التى تجعل لك قيمة حقيقية فى المجتمع .وتذكر بأن العلم هو محور الحياة، كما أنه رمز التقدم والنمو وهو ينبوع الحضارة، ومن لم يأخذ من موارده عاش بائسًا محرومًا تحيط به أغلال الجهل من كل جانب. نعم، العلم يبنى وينهض ويسير بالمجتمع نحو درجات الكمال، فهو المصباح المنير الذى يبدد شدة الظلام، ويقود الناس إلى المجد والرقى، فأنواره تتلألأ بجمالها القلوب، وتحاط به الأوطان بسياج العزة والكرامة، لذا، فقد قال أحد الحكماء:

«لابد للشعوب من العلم إذا أرادت النجاح فى سائر مجالات الحياة» نعم، فالعلم يرفع بيوتًا لا أساس لها، كما أن الجهل يهدم بيوتا بها

عدة أسس، وما من أحد لا يريد لنفسه الرفعة والتقدم وتحقيق ما يصبو إليه من نجاحات سواء على المستوى العلمى أو على المستوى العملى وكلاهما موصولان مع بعضهما البعض أى العلم والعمل، ولا يجوز أن يكون أحدهما دون الآخر، **فعلم + عمل = نجاح وتطور ونمو وعلو فى الدنيا والآخرة**، نعم، علم + عمل = نور للإنسان يهتدى به فى طريق الحياة فيسكن فى أرض خصبة مليئة بالنباتات والزهور وتغريد الطيور.

وفوق كل ذلك، فالعلم أحد الطرق الموصلة إلى جنة الرحمان كما دلّ على ذلك حديث «أبى هريرة» رضى الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ومن سلك طريقا يلتمس به علما سهّل الله له به طريقا إلى الجنة**» رواه مسلم.

علاوة على ذلك فإن الله يرفع أهل العلم فى الدنيا والآخرة، أما فى الدنيا فيرفع الله شأنهم ويُعلى من قيمتهم ويجعل لهم الوقار فى قلوب البشر، وغير ذلك الكثير والكثير.

أما فى الآخرة، فإن الله يرفع من درجاتهم بحسب ما عملوا من هذا العلم، ولذلك فإنى أوصى نفسى وإياك أن نتعلم أكثر وأكثر وأن نعشق وندمن العلم ما دام هذا هو الذى سيرفع من شأننا ويُعلى من قيمتنا وقبل هذا وذاك سيصل بنا إلى جنة الفردوس التى حتمًا ستكون سببا لرؤية الله جلّ جلاله، ولو لم نتعلم إلا لهذا السبب لكفى.

***

٥- كرّس نفسك لخدمة الآخرين

كلما ما تد فعنا الدنيا إلى أن نأخذ منها متعة وتسلية ورفاهية وسُلطة و..... إلخ. لن يؤدى بنا أبدًا إلى تحقيق الذات وإلى أن نصل إلى المستوى الذى نتمناه فالحقيقة أن الحياة نقيض هذا.

فمنبع البهجة وتحقيق الذات الحقيقيان ليس فى الأخذ، بل فى العطاء، لا فى أن يخدمنا الآخرون، بل أن نخدمهم نحن، فالأصل أن تسهم فى حياة الآخرين. فمن بين أصعب دروس الحياة أن تتعلم التغلب على ما جُبلت عليه من أنانية.

كما أن هذا يمثل تحديا عظيمًا ودائمًا طيلة حياتك إلا أن علينا أن نتعلم الد رس وأن نكون مؤهلين لهذا التحدى لو أرد نا أن نعرف حقيقة إنسانيتنا وأن حياتنا تستحق أن نعمل خلالها على مالا ينحصر فى نطاق إرضاء ذاتنا. فمكمن التناقض الظاهرى الحقيقى هو أن يكون ما يعود علينا من حياتنا فى تناسب طردى مع ما نسهم به فى الحياة ككل.

أنا لا أود أن أوحى هنا بأن علينا أن نحرم أنفسنا من المتع المادية فى هذه الدنيا. فلا ضير من أن يكون مرتبك جيدًا، وأن تمتلك منزلًا وسيارة

أنيقة، أو أن تقضى عطلتك فى منتجعات جميلة. فتلك بعض ما يعود عليك من العمل الجاد والسلوك الصالح، فمن حقنا أن نستمتع بنتاج كدحنا .وبوسعنا القيام بذلك، وفى ذات الوقت أن نكون فى خدمة الآخرين وأن نجعل من العالم مكانا أفضل. فلا يتعلق الأمر بأسبقية إختيار شيء على آخر، إلا أن المفترض أن نكون فى خدمة الغير ما استطعنا.

فكثيرًا ما نتعرض منذ الصغر لكل ما يدعم لد ينا هذا التفكير (انتبه لنفسك أو أنت تستحق ذلك بمفردك، أو أنت الأحق بهذا من غيرك). فنكبر مكتسبين هذا التوجه الأنانى فى الحياة، ولكن هيهات أن يكون لنا تلك المكانة التى طالما حلمنا بها، بتلك التصرفات التى لا تُسمن ولا تُغنى من جوع.

فقد كان هناك شاب فى السادسة عشرة من عمره، وكان يعيش فى غانا، وكان ينحد رمن قرية فقيرة جدًا. وكان جلّ ما يريده فى الحياة هو أن يحدث فارقًا فى حياة الآخرين، وعندما بلغ مرحلة المراهقة، ترك البيت بحثا عن الثروات ليعود بها إلى قريته، وأخيرًا، انتهى به الأمر للعمل فى مزرعة للكاكاو. لسبع سنوات لم يتصل بأصدقائه ولا بعائلته وذات يوم، عاد لقريته، فالتف حوله الناس وسأله أحدهم:- «ماذا لديك لتريه لنا بعد سبع سنوات من الغياب؟ ما الذى أحضرته لنا؟ وأين هى الثروات التى وعد تنا بها؟».

وضع الشاب يده فى جيبه وأخرج ثلاث حبوب صغيرة جدًا. فسأله أحدهم: «أهذا كل ما لديك؟ ثلاث حبوب صغيرة؟» ودون أن يعلق بكلمة واحدة، أدار لهم ظهره وعاد إلى كوخ عائلته، وغرس الحبوب بالقرب منه، ونما من هذه الحبوب أول شجرة كاكاو تزرع فى البلاد، ونمت بعدها شجرة ثانية وثالثة. واليوم، يُعد الكاكاو أهم المحاصيل التى تزرع فى غانا. ووفقا للأسطورة، بدأت هذه الملحمة على يد شاب واحد غرس ثلاث حبوب.

فلقد كرّس نفسه لخدمة بلد ته بأكملها، ولو أنه كان لا يعمل إلا لنفسه فقط لظلّ هناك فى هذه البلد التى سافر إليها ليتمتع بمفرده، ولكنه أبّى إلا أن يشرك معه أهل بلد ته، وهذا الذى يجب علينا جميعًا فعله، ألا نفكر فى أنفسنا فقط، كى يرى الله فينا التعاون والإتحاد فيرضى عنا ويمد لنا يد العون التى حتما سترفعنا لأعلى عليين فى الدنيا والآخرة.

فهل من الممكن أن يحدث بيننا ضغينة وحقد، إذا كان هذا هو حالنا؟

فاذهب واغرس بعض الحبوب، اذهب وأسد للآخرين معروفًا، وسيبارك الله فى مجهوداتك. وتذكر بأن هناك بعض الناس ممن يزعمون أنهم سيمدون لك يد المساعدة فى الحياة، ولكنهم لا يفعلون. فلا تعتمد على هؤلاء لأنهم لن يمدوك بالمعلومات، ولن يتحلوا بالحكمة، أو نفاذ البصيرة للمساعدة على توجيهك إلى وجهتك المنشودة. لماذا؟ لأنهم لم يغرسوا بذورًا، وهناك نوع آخر من الناس سيباركونك لأنهم

سيمنحونك بذور الحياة. هؤلاء هم الذين سيدعمون حلمك وشغفك ويساعدونك على المضى قدمًا فى حياتك.

ولذلك، فكلما تناسيت ذاتك وركزت إهتمامك على الآخرين، تحسنت مشاعرك حيال نفسك، وتحسنت مشاعر الآخرين تجاهك. وستكتسب تلك المشاعر الإيجابية قوة دفع ذاتية ومن ثم ستصل إلى المكانة المرموقة بين الناس، وقبل هذا وذاك سوف تكتسب حب الله لك، لأنه سبحانه يحب العبد الذى يكون فى عون أخيه، ولذلك قال النبى ﷺ: «**كان الله فى عون العبد، ما كان العبد فى عون أخيه**».

وهذا دليل قاطع على حب الله لذلك. نعم فأحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور يدخله المرء على قلب أخيه أو يكشف عنه كربة أو يقضى عنه دينًا أو يطرد عنه جوعا، وفى هذا إشارة عظيمة ودرجة رفيعة جدًا، ذلك أن محبة الله للعبد شيء غاية فى العظمة والروعة، فإن الله إذا أحب عبدا أحبه أهل السموات والأرض وهل بعد ذلك مكانة أفضل؟؟؟.

فإن عمل الخير من أجل الآخرين ما هو إلا هدف لعيشك على سطح الأرض، فإن أى إنسان يمكنه أن يصبح رائعًا، لأن أى إنسان لديه القدرة على خدمة الآخرين. كل ما تحتاج إليه لخدمة الآخرين هو: **قلب ملئ بالرحمة، وروح مدفوعة بالحب.**